تكملة مادة الدولة الطولونية

خمارويه بن احمد بن طولون(٢٧٠-٢٨٢هـ/ ٨٨٤-٨٩٦م)

اوصى احمد بن طولون ان يتولى ابنه خمارويه الحكم من بعده وكان عمره ٢٠عاما عندما تولى الحكم وقد ترك احمد بن طولون لابنه وصية تضمنت الخطوط العامة للسياسة التي كان عليه اتباعها مع الخلافة العباسية في بغداد ومع بلاد الشام وكيفية ارساء قواعد الدولة في مصر وتقويتها والاهتمام بالجيش وتحسين الاقتصاد في عموم البلاد . ومن اهم اعمال خمارويه

١-تقويه الجيش وزاد من عدده وادخل فيه عناصر جديده استقدمهم من اسيا الصغرى من العنصر التركي فضلا عن ادخاله عناصر جديده من سكان البلاد كما جند العرب الموجودين في الحوف وكون منهم فرقه عرفت باسم المختارة واتخذهم حرساً خاصاً له مع السودان .

٢- جعل لكل طائفة من الجند زياً خاصاً بها كما اعتنى بتدريب الجيش وزاد في عطائه .

٣- اهتم بالأسطول البحري الذي ساند الجيش البري في حروبه لا سيما مع بلاد الشام.

٤- اسرع خمارويه الى تنظيم امور بلاد الشام لما لها من اهميه في دعم سلطته في مصر.

٥- كتب الى الخليفة العباسي يطلب منه الأعتراف على ما بيده من البلاد مقابل الدعاء والطاعة التامة للخلافة العباسية ، ولكن الموفق رفض ذلك وقام بتشكيل حلف مناهض للطولونيين يقف هو على راسه ، مما اثار غضب واستياء خمارويه

واسرع لتجهيز حملة عسكرية مؤلفة من جيشين نحو بلاد الشام وعززهما بالأسطول البحري ولكن خيانة قائد الجيش الاول احمد بن محمد الواسطي وغيره من القادة الطولونيين وانضمام حكام المدن الشامية الى جانبهم رجحت كفة العباسيون وتمكنوا من الاستيلاء على العديد من المدن ولكن بوادر الشقاق سرعان ما ظهرت بين المتحالفين لأسباب مادية فأسرع خمارويه بقيادة جيشه من مصر نحو بلاد الشام والتقى بالقوات العباسية في مدينه الطواحين جنوب فلسطين ولم يكن خمارويه مستعداً للمعركة فخسرها وبينما كان الجيش العباسي منشغلا بجمع الغنائم هجم عليه الجيش الطولوني الثاني الذي كان بقياده سعد الايسر وتمكن من هزيمتهم فهربت الجيوش العباسية نحو دمشق وعاد القسم الاخر الى بغداد ، ثم تمكن سعد الايسر من استعادة دمشق وبعد عام من انتصار خمارويه قام بالتخلص من سعد الايسر لظهور بوادر الاستقلال عنده في بلاد الشام .

٦- خرج خمارويه مرات عدة لتأديب حكام الجزيرة الفراتية الذين كانوا يخضعون لحاكم مصر.

٧- بوفاة الموفق سنه ٢٧٩هـ/٨٩٢م تخلصت الدولة الطولونية من خطره نهائيا وتولى الخلافة من بعده ابنه احمد ولقب بالمعتضد فأستخدم خمارويه الدبلوماسية معه وأرسل له الهدايا بيد كاتبه ابن الجصاص لتهنئته على توليه الخلافة وكانت الهدية تشير الى قوه الدولة الطولونية وثرائها الذي يفوق ثراء الخلافة .

٨ – ولى الخليفة المعتضد خمارويه واولاده مصر وجميع ما بيده من بلاد لمدة ٣٠ عاماً على ان يحمل للخلافة مبلغ من المال في كل عام تم الاتفاق عليه، ثم تطورت هذه العلاقات الى علاقات اسرية حيث زوج خمارويه ابنته قطر الندى للخليفة المعتضد .

٩- واجه خمارويه الدولة البيزنطية وتعاون مع حاكم الثغور يازمان الخادم الذي اعترف بحكم خمارويه ودعا له على المنابر وتمكنا بتعاونهما هذا تحقيق العديد من الانتصارات .

قتل خمارويه على يد غلمانه في دمشق بعد حكم دام اثني عشر عاماً .

سقوط الدولة الطولونية

بعد وفاة خمارويه انتهى العصر الذهبي للدولة الطولونية ، وساهمت عوامل عدة في سقوط الدولة الطولونية منها :

١- بعد وفاة خمارويه تولى ابنه جيش الحكم الذي أنشغل بحياة اللهو والترف وقرب اليه فئة من الجيش وهم السودان والروم على حساب فئات اخرى(المغاربة ، البربر، الخزر) مما دفع هذه الفئات للمطالبة بعزل جيش بن خمارويه وتولي عمه أبو العشائر نصر الحكم فقام جيش بقتل عمه والقاء راسه على الجنود المؤيدين له مما ادى الى فرار عدد منهم الى العراق واللجوء للخليفة المعتضد الذي رحب بهم وسمح لهم بالإقامة في الكوفة . نتيجة لتردي الاوضاع السياسية في مصر فقد انفصلت بلاد الشام والثغور عن مصر الامر الذي زاد الوضع سوءً . كما ان جيش بن خمارويه قام بقتل العديد من قادة الجيش الطولوني الامر الذي دفع عدداً منهم بالقبض على جيش وقتله وذلك سنة ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م ووقع اختيارهم على هارون بن خمارويه ليتولى الحكم وكان صغير السن فلم يتجاوز عمره اربعة عشر سنة لذا تولى عدداً من القادة ادارة البلاد التي كانت اوضاعها تسير من سيء الى أسوء

٢- لم تعترف الخلافة العباسية وعلى راسها الخليفة المعتضد بحكم هارون بن خمارويه على مصر الا بعد ٣ سنوات من توليه الحكم وقام المعتضد بالغاء المعاهدة التي تم عقدها مع خمارويه وعقد معاهدة جديدة معه سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩

م نصت على تبعية مصر للخلافة العباسية وان تدفع مبلغا من المال في كل سنة وان تنفصل بلاد الشام عن مصر الامر الذي اضعف موارد مصر المالية وكان هذا سببا آخر في انهيارها .

٣-بوفاة المعتضد الذي كان من انصار الدولة الطولونية وتولي المكتفي الخلافة بدأت الاستعدادات لإسقاط الدولة الطولونية فقام بالقضاء على القرامطة الذين كانوا يسيطرون على بلاد الشام التي فشل الطولونيون في القضاء عليهم وولى قائد الجيش المنتصر على القرامطة محمد بن سليمان الكاتب مهمة القضاء على الدولة الطولونية .

٤- عجز مصر عن الايفاء بالمستحقات المالية التي تدفعها للخلافة بموجب معاهدة سنة ٢٨٦ هـ /٨٩٩م كانت ذريعة لقيام الخليفة المكتفي بتجهيز حملة عسكرية للقضاء على الدولة الطولونية تولى قيادة الجيش البري محمد بن سليمان الكاتب يساعده في ذلك القادة الذين فروا من الجيش الطولوني اما الاسطول البحري فقد تولى قيادته دميانة وحدث اللقاء بين الجيشين في بلدة العباسة على اطراف الحدود الشرقية لمصر وفي الوقت نفسه كانت هنالك معركة بحرية بين الاسطول العباسي والاسطول الطولوني بقيادة وصيف القطرميز عند مدينة تنيس فانهزم الاسطول الطولوني الذي انسحب الى دمياط ثم انهزم في معركة ثانية مع الاسطول العباسي واصبح الطريق مفتوحا للاسطول العباسي للتوجه الى القطائع عاصمة الدولة الطولونية ومحاصرة الجيش الطولوني وقطع طرق الامدادات عنه .

٥- خلال الفترة التي حاصر بها الجيش العباسي مدينة القطائع قتل هارون من قبل عمه شيبان بن احمد بن طولون الذي تولى الحكم ودخل بمفاوضات مع محمد بن سليمان الكاتب تنص على أن يسلمه القطائع مقابل اعطاء الامان للأسرة الطولونية وبمجرد دخول محمد بن سليمان الى القطائع نقض عهده مع شيبان وامر بالقبض

على جميع افراد البيت الطولوني وأرسلهم الى بغداد وقام الجيش العباسي بحرق وتدمير مدينة القطائع . وبهذا انتهى حكم هذه الاسرة في مصر .

عودة مصر الى الخلافة العباسية

بعد القضاء على الدولة الطولونية عادت مصر تابعة للخلافة العباسية ، واتسمت الفترة ما بين سنة ٢٩٢هـ الى سنة ٣٢٣هـ باضطراب أوضاع مصر السياسية ، قصر مدة حكم الولاة ، فضلاً عن بدء تعرض مصر لمحاولات الخلافة الفاطمية لمد نفوذها الى مصر ، لذا نجد ان الولاة قد اهتموا اهتمام كبير بمدينة الاسكندرية وعملوا على تحصينها وتزويدها بالجنود لصد الهجمات المتكررة من قبل الخلافة الفاطمية . ومن اهم ولاة مصر خلال هذه الفترة :

١- محمد بن عيسى النوشري الذي ولاه محمد بن سليمان الكاتب ولاية مصر قبل خروجه منها متوجهاً الى العراق .

٢-ذكا الاعور الذي اهتم بمدينة الاسكندرية وعين ابنه المظفر والياً عليها لأهميتها من الناحية العسكرية . ٣-تكين الذي تولى ولاية مصر اربع مرات فقد احبه اهالي مصر لتسامحه وعدله معهم .

٤- احمد بن كيغلغ الذي بدأ مع والي الخراج محمد بن حسين الماذرائي تنظيم امور البلاد المالية بعد ان رأوا كثرة النفقات فقرروا تقليصها عن طريق قطع عطاء الجند المشاة السابقين مما ادى الى ثورتهم ولم يستطع احمد بن كيغلغ مواجهتهم ففر من مصر ، وعندما تولى المقتدر الخلافة اعاد احمد بن كيلغ والياً على مصر ومعه ابو بكر الماذرائي والياً على الخراج فلما سمع اهل مصر بذلك ثاروا عليه ولكن احمد بن كيغلغ تمكن من القضاء على هذه الثورة . وفي عهد الخليفة العباسي الراضي حدث تطور كبير حيث عين الراضي الفضل بن جعفر بن الفرات وزيراً له، وكان هذا على عداء مع الماذرائيين فلذلك سعى للتخلص منهم سيما بعد ان ربطت علاقة المصاهرة بينه وبين محمد بن طغج نائب دمشق فقام بتوليته مصر وعزل احمد بن كيغلغ .